وهذا كثيراً ما يغيب عن اعتبار العديد من القوى الثورية الدولية.

بالنسبة الى التنظيمات الصهيونية، السرية والعلنية في أوروبا الشرقية والوسطى، فانها ركبت ـ كما قلنا ـ موجتين مترافقتين: الموجة الدينية الرجعية، وموجة الدفاع عن النفس ضد معاداة السامية. واستطاعت البورجوازية الدولية ومنها البورجوازية اليهودية، التي تؤلف القيادة الصهيونية، أن تصل بين الموجتين، وان تخلق من ذلك تركيباً تاريخياً، ليس غريباً في رجعيته، إذ يوجد منه الكثير، ولكنه غريب في لون قناعه، الرجعي والتقدمي، في الوقت عينه، وغريب في حرصه على اللونين، الرجعي والتقدمي معاً.

بوصل الموجتين المذكورتين أصبح الدفاع عن النفس ضد معاداة السامية دفاعاً عن النفس ضد «الاضطهاد القومي»، وأصبح الرد على ذلك، لا علاقة له بمعاداة السامية مطلقاً، وانما يتألف من بندين أساسيين: الأول، هو تحويل الرابطة الدينية، خلافاً لكل منطق، الى رابطة قومية؛ والثاني، الانطلاق من ذلك في بناء وطن قومي لليهود.

الموجة الدينية يمكن ان يصدر عنها ذلك؛ أما موجة الدفاع عن النفس ضد معاداة السامية، فكيف تحولت الى هذا الموقف؟

هنا دخلت ديماغوجية المنحى القومي في نهاية القرن التاسع عشر.

ففي اطروحات المنحى القومي المذكور، المعركة «القومية» لها الأولوية على المعركة الطبقية ـ البروليتارية، من جهة، والطبقة العاملة يجب ان تركز في خوض نضالها الطبقي على اطارها «القومي»، وأن تحافظ على هذا الاطار، من جهة أخرى. عليها ان تكون «قومية» أولاً، وماركسية ثانياً.

والصهيونية تطرح نفسها حركة «قومية» و«تحررية»، ولذا يمكن ان «تتحالف»، وفق ذلك المنطق، مع الطبقة العاملة اليهودية. هذه المغالطة الكبرى ضربت اسفينين كبيرين في كفاح الطبقة العاملة اليهودية: الأول هو أن عملاء الصهيونية قاموا بعمليات تخريب كبيرة داخل التنظيمات العمالية، وخصوصاً في تنظيمات الطبقة العاملة اليهودية، ونجحوا في حرف جزء من العمال عن نضالهم الطبقي، وفي تجنيدهم في الثورات المضادة؛ والاسفين الثاني هو ان الصهيونية استطاعات التغرير بعدد كبير من فقراء اليهود، وعمالهم، ومتوسطي الحال بينهم، وان تنقلهم الى فلسطين، حيث تعرضوا لمختلف صنوف الاستغلال، وحيث استخدموا حربة في مراحل الاستيطان والاستعمار الصهيوني، وحيث استخدموا، وتستخدم الآن ذريتهم، أداة رخيصة في يد الامبريالية الدولية.

□ استخدام الفقراء والعمال بشعارات خادعة في مخططات رجعية وبورجوازية متنوعة لم تنفرد به الصهيونية. فالبورجوازية الدولية تبني هياكل تنظيمية متنوعة في كل مكان في العالم الرأسمالي، وتكلفها بالقيام بمختلف المهمات القذرة، المضادة للثورات، ومنها ذات الطابع الاجرامي المباشر.

يساعد البورجوازية الدولية في ذلك قدرتها المادية الضخمة؛ فهي تستطيع، ان «تستأجر» نصف العمال... حسب مبدأ المصرفي غولد (ونقصد، نحن، انها هكذا تحاول دائماً)؛ ويساعدها، أيضاً، عاملان موضوعيان: الاول، هو وجود وتزايد جيش العمل الاحتياطي الواسع، أي مجموع الذين دمرت الرأسمالية حياتهم الاقتصادية الفردية (من الحرفيين والفلاحين) في مختلف المجتمعات، دون ان تقدم لهم عملاً، وحولتهم الى فقراء مدن، الى طبقة